



obseikan.com

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقبل عرض مقدمة كتابي عليكم، دعوني أمهد لها ببعض من النقول التي انتقيتها لبعض العلماء، مما له علاقة بفكرة الكتاب والهدف منه.

يقول ابن العربي في عارضة الأحوذِي: علم التعبير لا يكون إلا لمتبحر في العلوم كلها، فإن تفسير الرؤيا لا يستمد من بحر واحد؛ بل أصله الكتاب، والسنة، وأمثال العرب وأشعارها، والعرف، والعادة^(١).

وقال ابن قتيبة في كتابه تعبير الرؤيا: «وليس فيما يتعاطى الناس من فنون العلم، ويتمارسون من صنوف الحكم، شيء هو أغمض وألطف، وأجل وأشرف، وأصعب مراراً، وأشد إشكالاً من الرؤيا؛ لأنها جنس من الوحي، وضرب من النبوة. ولأن كل عالم بفن من العلوم يستغني بألة ذلك العلم لعلمه، خلا عابر الرؤيا، فإنه يحتاج إلى أن يكون عالماً بكتاب الله عزَّ وجلَّ، وبحديث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليعبرهما في التأويل، وبأمثال العرب، والأبيات النادرة، واشتقاق اللغة، والألفاظ المُبتدلة عند العوام، وأن يكون - مع ذلك - أديباً لطيفاً، ذكياً، عارفاً بهيئات الناس وشمائلهم، وأقدارهم وأحوالهم، عالماً بالقياس، حافظاً للأصول»^(٢).

وقال البغوي: «وقد يتغير التأويل عن أصله باختلاف حال الرائي، كالغل في النوم مكروه، وهو في حق الرجل الصالح قبض اليد عن الشر، وكان

(١) عارضة الأحوذِي بشرح صحيح الترمذي: الإمام الحافظ ابن العربي المالكي، (١٥٢/٩)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٢) تعبير الرؤيا: أبو محمد عبد الله مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم صالح، (ص ٢٤ - ٢٥)، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

ابن سيرين يقول في الرجل يخطب على المنبر: يصيب سلطاناً، فإن لم يكن من أهله يصلب»^(١).

وقال علي القاري في مرقاة المفاتيح: «والحاصل أن الرؤيا مختلفة باختلاف الرائي؛ فإنه قد يكون سالكاً من مسالك طريق الدنيا، وقد يكون سائراً في مسائر صراط العقبي، فلكل تأويل يليق به، ويناسب بحاله ومقامه، وهذا أمر غير منضبط؛ لذا لم يجعل السلف فيه تأليفاً مستقلاً جامعاً شاملاً، كافلاً لأنواع الرؤيا، وإنما تكلموا في بعض ما وقع لهم من القضايا»^(٢).

وتأمل معي الأمثلة الآتية:

- ١- قصة تعبير ابن سيرين لمن رأى أنه يؤذن: سأل رجل ابن سيرين قال: رأيت في المنام كأني أؤذن، قال: تحج، وسأله آخر عن الرؤيا نفسها، فأول بقطع يده في السرقة، فقيل له في التأويلين، فقال: رأيت الأول على سيماء حسنة، فأولت قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧]، ولم أرض هيئة الثاني، فأولت قوله عَزَّجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَدْنِ أَذْنَكَ مُؤِذِّنٌ أَبْتُهَا أَلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠]^(٣).
- ٢- قصة الطفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين رأى طائراً يخرج من فمه، واختلاف تعبيره لرؤياه عن تعبير أصحابه؛ فأول هو خروج روحه واستشهاده، ومحاولة ابنه طلب الشهادة وعدم فوزه بها، وأولوا هم له خيراً^(٤).
- ٣- قصة فرعون ورؤياه التي ذكرها القرآن: فبينما قال له بعض المعبرين من جلسائه: أضغاث أحلام، عبرها يوسف تعبيراً دقيقاً أنقذ الله به شعب مصر من المجاعة.

(١) شرح السنة: البيهقي، (٢٢٤/١٢)، كتاب الرؤيا، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طباعة المكتب الإسلامي، ط ١ بديء فيها ١٣٩٠هـ وান্তهت ١٤٠٠هـ بدمشق، ط ٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، بيروت.

(٢) مرقاة المفاتيح لشرح مشكاة المصابيح: علي القاري، محمد الخطيب التبريزي، كتاب الرؤيا، (٤٣٤/٨)، المحقق: جمال العيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٣) شرح السنة: البيهقي، (٢٢٤/١٢)، كتاب الرؤيا، مرجع سابق.

(٤) يأتي ذكر القصة كاملة في الفصل الثاني: أسس ومنطلقات هذا الكتاب (حديث خروج طائر من الفم).

٤- ما روي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَى بَيْنَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ وَأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فرأى سلمان أبا بكر في الرؤيا فأعرض عنه بعدها، وكان فسرهما - حسب اجتهاده وحسب قدراته - تفسيراً يستوجب العتب والتأديب والهجر، فقال له أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما لك يا أخي أعرضت عني؟ فقال: إني رأيت في المنام أن يديك جمعتا إلى عنقك، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الله أكبر! جمعت يداي عن الشر إلى يوم القيامة.

فقد فهم سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمراً، وفهمه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بفهم آخر^(١).

هذا الأمر وغيره يجعل مناقشة الموضوع مهمة؛ ولذا لا بد من التساؤل: ما الذي يمنعنا من وضع ضوابط شرعية ونفسية واجتماعية وغيرها، تسهم في الخروج بما يشبه المعايير العامة التي يمكن الاحتكام إليها عند التعبير؟ وما الذي يمنع من وضع ضوابط لمعنى الرموز تحصر وتضبط، ومن ثم تساعد من رآها على التوصل إلى المعنى الأقرب والأوفق بحالته وزمن رؤيته، ومن ثم يسهم هذا العمل، وتسهم هذه الضوابط، في مساعدة المعبرين أيضاً بوجود مرجعية لهم في التعبير، تساعدهم، ويحتكم إليها ويحتكمون إليها؟

قد يصعب حصر الرموز والمعاني كلها، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، ويكفي من القلادة ما يحيط بالعنق، وقد وجدت أنه من الضروري الابتداء والانطلاق من رموز معينة بحسب معايير محددة.

من هذه المعايير:

١- أن نفرد بالحديث والشرح والتفصيل الرموز الأكثر إفزاعاً للناس.

(١) شرح السنة: البيهقي، (٢١٥/١٢)، كتاب الرؤيا.

وجاء في الحاشية: أخرجه بنحوه أبو بكر بن أبي شيبة فيما ذكره الحافظ في الفتح، (٢٥٩/١٢)، بسند صحيح عن مسروق قال: مر صهيب بأبي بكر، فأعرض عنه، فسأله، فقال: رأيت يدك مغلولة على باب أبي الحشر رجل من الأنصار، فقال أبو بكر: جُمع لي ديني إلى يوم الحشر.

٢- وأن نضرد بالحديث الرموز الأكثر وروداً في السؤال والتردد بينهم، حسب رسائلهم واتصالاتهم كذلك.

٣- أن نضرد بالحديث الرموز التي يكثر اللبس فيها والوهم بمعانيها.

وكما أسلفت؛ فهذا سيكون من خلال تتبعي الذي استمر سنوات عدة لاتصالاتهم أو رسائلهم في برامجي التلفازية المباشرة، أو قنوات الاتصال المتعددة، كالرسائل النصية (sms)، وما يرد إلي في موقعي على الشبكة العنكبوتية، أو لمعرفي في تويتر.

ولعل من نافلة القول هنا أن أذكر أنني وضعت بكتابي هذا نموذجاً لشرح بعض من الرموز حسب الفلسفة التي يراها الباحث، لتكون نواة تؤسس لتعليم هذا الفن وتبسيط تدريسه، والانطلاق من خلال مثل هذه الشروح لرموز منتقاة حسب معايير مختلفة، منها: كثرة السؤال عنها، أو كثرة إفزاعها والخوف منها، أو تمني رؤيتها، أو وجود كثير من اللغط وتناقض الأفهام واضطرابها في رؤيتها.

ولعلك بعد قراءة هذا الكتاب سيتضح لك ما يأتي:

- ١- إبراز هذا العلم الشريف وإعطاؤه مكانته التي يستحقها.
- ٢- العمل على نشر الثقافة الشرعية في التعامل مع الأحلام والكوابيس المفزعة.
- ٣- نشر الثقافة الشرعية الصحيحة في التعامل مع الرؤى المبشرة.
- ٤- إبراز مكانة العلماء الذين عُنوا بهذا العلم الشريف، والتعريف ببعض مؤلفاتهم.
- ٥- تعرّف أهم المشكلات التي تترتب على مشاهدة الأحلام المفزعة المتكررة.
- ٦- تعرّف معاني بعض الرموز المفزعة في الأحلام.

